النوازل العقدية
(تأصيل المفهوم والمصطلح)

م. د. مؤيد عبد الله فرحان

'Al-Nawazil Al-Akdiyah' (Novel Dogmatic Cases):

Rooting Its Concept And Term

Inst. Dr. Moayad Abdullah Farhan

المستخلص

عوامل كثيرة أدت الى ظهور مصطلح النوازل العقدية، كتب عنها علماؤنا السابقون، وتركوا تراثاً ضخماً لنوازل عقدية حدثت فأصلوها تأصيلاً عملياً لمعالجتها، ومع مرور الزمن ظهرت في أمتنا نوازل جديدة بسبب الاختلاط بغير المسلمين وترجمة كتبهم واعتماد أفكارهم وفلسفاتهم، احتاجت هذه النوازل الى الدراسة والتأصيل.

تقوم هذه الدراسة على التتبع والاستقراء لمفهوم النوازل العقدية ودراستها، ثم التحليل والاستنتاج للمنهج الصحيح لدراسة النازلة العقدية، مع فقه التعامل معها، واعتماد المنهج الأصولي في التعامل معها، مع أخذ (الإلحاد المعاصر) كنموذج لإحدى النوازل العقدية، لدراستها وتفكيكها وكيفية التعامل معها لمعالجتها.

الكلمات المفتاحية: العقائد، النازلة، الإلحاد، المنهج الأصولي.

* * *

Abstract:

There are many factors led to the emergence of the term 'Al-Nawazil Al-Akdiyah' (novel dogmatic cases), which our previous scholars wrote about, and left a huge legacy of novel dogmatic cases that occurred in the past, and established their origin in a practical way to treat them. With the passage of time novel dogmatic cases appeared in our nation due to mixing with non-Muslims, or translating their books and adopting their ideas and philosophies. These novel dogmatic cases needed study and rooting.

This study is based on tracking, extrapolating and studying the concept of 'Al-Nawazil Al-Akdiyah' (novel dogmatic cases), then analysing and deducing the correct approach to studying them, with the jurisprudence of dealing with them, and adopting the fundamentalist approach in dealing with them, taking in consideration (the modern atheism) as a model for one of the novel dogmatic cases, to study and dismantle it and knowing how to deal with and treat it.

Keywords: Dogma, Novel case, Atheism, Fundamentalist approach.

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ إن علم العقيدة الإسلامية من أشرف العلوم وأجلها؛ لأنه العلم بالله تعالى وآياته، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، وكذلك العلم بالنبوات، والعلم بأمور الآخرة من بعث وجنة ونار...إلخ، وهذه هي المقاصد الثلاثة، التي نزلت بها الكتب السماوية، وأجمعت الرسل على الدعوة إليها، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2]، وقال تعالى إشارة إلى اتفاق الرسل والكتب السماوية على إثبات اليوم الآخر: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ ﴾[3].

ولذلك فقد كان ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين سابقاً لتقرير المسائل العملية من صلاة وصيام وغير ذلك؛ فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "**كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**"[4].

لقد عاشت الأمة الإسلامية في عهد نبيها ﷺ وفي عهد صحابته -رضوان الله عليهم- على أثارة من العقيدة الراسخة التي نزل بها الوحي الكريم ونطق بها النبي الأمين ﷺ لم يجدّ عليها جديد، فلم يحتاجوا البحث على أبواب أو استنباطات جديدة؛ نظرًا لاهتمام العلماء المسلمين بضبط أبواب الفقه العملية وجمع الأحاديث النبوية وتدوينها من جهة، ولانشغالهم بالفتوحات الإسلامية وتوسيع رقعة نفوذ الإسلام من جهة ثانية.

إلا أن في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري بدأت الدولة الإسلامية تستقر على مساحة شاسعة من الأرض، وأخذ البحث العقدي يتوسع ويتطرق إلى أبواب ومباحث جديدة، ووجد العلماء أنفسهم أمام أسئلة وافتراضات تُطرح عليهم لم يسبق البحث فيها، والتي احتاجت إلى بذل الجهد في استنباط أجوبتها من النصوص العقدية، صاحب ذلك نقل الفلسفات غير العربية عن طريق الترجمة،

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).
(٢) سورة النحل، من الآية: (٣٦).
(٣) سورة الزمر، الآية: (٧١)

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، د.ت، (١/ ٢٣)، رقم الحديث (٦١).

التي أدت الى مزيد من التحليلات العقلية للمسائل العقدية الغيبية.

وقد أدت كل هذه العوامل إلى ظهور ما يسمى بـ(النوازل العقدية) ذلك المصطلح الذي ينطبق على كثير من المباحث المناقشة في التراث العقدي قديما، وكذلك في النقاشات والأبحاث العقدية حديثا، والذي يحاول الباحث في هذه الدراسة أن يناقشه مناقشة نظرية وتطبيقية لضبط مفهومه وتحديد ما ينطبق عليها.

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة، ووصف طبيعتها، وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار المشكلة (النازلة العقدية)، والتعرف على حقيقتها في أرض الواقع، ويتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات حول الظاهرة، إلى التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وكالآتي:

المقدمة: وفيها عرض لموضوع الدراسة ومنهج البحث فيه، و**التمهيد:** النوازل العقدية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: فقه التعامل مع النوازل العقدية، وفيه: **المطلب الأول:** فهم النازلة وتصورها، **المطلب الثاني:** تحرير النازلة وتفكيكها، **المطلب الثالث:** اعتماد المنهج الأصولي في التعامل مع النازلة.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية على نازلة الإلحاد المعاصر، وفيه: **المطلب الأول:** فهم الإلحاد المعاصر وتصوره، **المطلب الثاني:** تحرير نازلة الإلحاد المعاصر وتفكيكها، **المطلب الثالث:** اعتماد المنهج الأصولي مع الإلحاد المعاصر.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات التي تخرج بها الدراسة.

* * *

التمهيد

النوازل العقدية في اللغة والإصطلاح

أولا: النوازل لغةً:

النوازل جمع نازلة، والنازلة في اللغة: الشديدة من شدائد الدهر تَنْزِلُ بالقَوْم، يقال: أصابته نازلة من نوازل الدهر، أي: أصابه أمر شديد[١].

ثانياً: النوازل اصطلاحًا:

النوازل في اصطلاح العلماء: هي الأمور التي تستجد في حياة المسلمين، ولم يأت فيها نص صريح من كتاب أو سنة[٢].

ثالثًا: العقيدة لغةً:

العقيدة في اللغة (فعيلة) بمعنى (مفعولة) أي: معقودة، وأصل مادة عقد يدل على شد وشدة وثوق، يقال: اعتقَدَ الشيء. أي: صَلُب واشتد، واعتقد كذا بقلبه، أي: شد عليه قلبه ووثق به[٣].

(١) ينظر: العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال - مصر، (٧/ ٣٦٧)، تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (١٣/ ١٤٥).

(٢) ينظر: الفروق، القرافي، عالم الكتب، (١/ ١٢١)، الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة - بيروت، د.ت، (٨/ ١٧).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (٢/ ٥١٠)، مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (٤/ ٨٦).

(٤) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (ص١٧)، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، مكتبة الرشد - الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ، (ص٣).

(٥) ينظر: النوازل العقدية عند الشيخ ابن عثيمين (بحث محكم)، علي بن عمر بن محمد السحيباني، ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية - جامعة القصيم، (ص١٣٥١)، فقه النوازل، بكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، (١/ ٩).

رابعًا: العقيدة اصطلاحًا:

هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقينا ثابتا لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك، أَي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرَّق إِليه شك لدى معتقده، ويجب أَن يكون مطابقا للواقع، لا يقبل شكا ولا ظنا؛ فإِن لم يصل العلم إِلى درجة اليقين الجازم لا يُسَمى عقيدة[٤].

خامسًا: تعريف النوازل العقدية اصطلاحًا:

هي الأمور التي تستجد في عصر ما، والتي تمس الجوانب العقدية لا العملية، ولم يرد ذكرها تصريحا في نص صريح من الشارع، بحيث تتطلب من المجتهد بذل الجهد في استنباط حكمها من النصوص العقدية والأصول العقدية العامة[٥].

* * *

المبحث الأول

فقه التعامل مع النوازل العقدية

- **المطلب الأول: فهم النازلة وتصورها:**

إن مناقشة أي نازلة عقدية ينبغي أن يبدأ من تحري الإنصاف والبعد عن الحكم على الشيء قبل تصوره تصورا دقيقًا؛ ومن أجلى الأمثلة على ذلك مناقشة العلماء المسلمين لآراء الفلاسفة التي شاعت في عصرهم، فإنهم -رحمهم الله- لم يرضوا بمجرد نقل وحكاية تلك الآراء على مجرد الرواية عمن يذكرون آراءهم دون تمحيص ونقد، بل كان يصرون على فهم تلك الآراء من خلال كتبهم ليستطيعوا أن يحكموا عليها وعلى أصحابها[١].

وقد أشار ابن تيمية إلى تلك القضية في معرض حديثه عن الفلسفة اليونانية قائلا: «فإنا نحن لا نعرف لغة اليونان، ولم ينقل ذلك عنهم بإسناد يعرف رجاله، ولكن هذا نقل أئمة أصحابهم الذين يعظمونهم ويذبون عنهم بكل طريق، وقد نقلوا ذلك إلينا وترجموه باللسان العربي، وذكروا أنهم بينوه وأوضحوه وقدروه وقربوه إلى أن تقبله العقول ولا ترده»[٢].

هذا ومن أسباب فهم النازلة العقدية وتصورها تصورا دقيقا معرفة الواقع المحيط بتلك النازلة والظروف التي نشأت فيها، وهذا الأمر من أكثر الأمور التي اعتنى بها العلماء المصنفون في المسائل العقدية؛ فقد تميزت أبحاثهم بالبحث عن الأسباب وعدم التوقف عند المظاهر، ومن ضمن مظاهر هذا التميز دراساته حول الواقع المحيط بالنازلة العقدية وأصحابها[٣].

- **المطلب الثاني: تحرير النازلة وتفكيكها:**

المقصود بـ(تحرير النازلة العقدية): تهذيبها، وتمييزها عما قد يلتبس بها، وأخذ خلاصة الكلام فيها، وإظهارها بمنزلة جعل الشيء حرًّا خالصا، وهو اسم للأمر المنتفع به[٤]، وهذا التحرير يتم من خلال:

---

(١) ينظر: الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي - القاهرة، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، (ص٣٤).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، (٩/ ٢٧٦).

(٣) ينظر: الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان - السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، (١/ ٤٢).

(٤) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي، عالم الكتب - القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، (ص٩٢)، الكليات، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص٣١٠)، معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، (ص١٢٢).

أولاً: الحرص الشديد على ضبط المصطلحات:

لقد كان علماء المسلمين -رحمهم الله- يعتنون عناية شديدة بضبط المصطلحات عند حديثهم عن النوازل العقدية؛ فقد كان يرون أن كثيرًا من المتأخرين يستخدمون مصطلحات محدثة فيها الحق والباطل، ثم ينفونها ليتوصلوا بها إلى نفي معنى صحيح، وهذه المصطلحات لا تطلق نفيًا ولا إثباتًا حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحًا موافقا لما أخبر به الرسول صوب المعنى الذي قصده بلفظه، ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، لا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد بها، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، وأما إن أريد بها معنى باطل نفي ذلك المعنى، وإن جمع بين حق وباطل، أثبت الحق وأبطل الباطل[1].

- **المطلب الثالث: اعتماد المنهج الأصولي في التعامل مع النازلة:**

لقد نص العلماء والمنظرون للعقائد أن أهل السنة والجماعة يقسمون عقائدهم إلى أصول وفروع، وفي ذلك يقول؛ فقد قال المفسرون لمذهبهم: إن له أصولا وفروعا وهو مشتمل على أركان وواجبات -ليست بأركان- ومستحبات؛ بمنزلة اسم الحج والصلاة وغيرهما من العبادات؛ فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه من فعل وترك مثل الإحرام وترك محظوراته والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى والطواف ببيت الله الحرام وبين الجبلين المكتنفين به وهما الصفا والمروة. ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان متى تركت لم يصح الحج كالوقوف بعرفة. وعلى ترك محظور متى فعله فسد الحج وهو الوطء ومشتمل على واجبات: من فعل وترك يأثم بتركها عمدا ويجب مع تركها - لعذر أو غيره - الجبران بدم كالإحرام من المواقيت المكانية والجمع بين الليل والنهار بعرفة وكرمي الجمار ونحو ذلك وكترك اللباس المعتاد والتطيب والصيد وغير ذلك. ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها؛ فلا يأثم بتركها ولا يجب دم مثل رفع الصوت بالإهلال والإكثار منه وسوق الهدي فمن فعل الواجب وترك المحظور فقد أتم الحج والعمرة لله وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل. لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل منه وأتم منه حجا وهو سابق مقرب ومن ترك المأمور وفعل المحظور لكنه أتى بركنه وترك مفسده فهو حاج حجا ناقصا يثاب على ما فعله من الحج ويعاقب على ما تركه وقد سقط عنه أصل الفرض بذلك مع عقوبته على ما تركه ومن أخل بركن الحج أو فعل مفسد فحجه فاسد لا يسقط به فرض.

فليفعل مثل ذلك في مسمى الإيمان والدين: أن الإيمان ثلاث درجات: إيمان السابقين المقربين، وهو ما أتي فيه بالواجبات والمستحبات من فعل وترك، وإيمان المقتصدين أصحاب اليمين، وهو

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، (٢/ ٥٥٥).

ما أتي فيه بالواجبات من فعل وترك، وإيمان الظالمين، وهو ما يترك فيه بعض الواجبات أو يفعل فيه بعض المحظورات.

وأصول الإيمان عند أهل السنة يُقصد به: ما كان ثابتا بدليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة؛ بحيث يكون محل إجماع المسلمين، ويكون معلوما من الدين بالضرورة[١].

والمقصود بأصول الإيمان أركانه الست التي وردت في حديث جبريل عندما سأَلَ رسولَ الله ﷺ: ما الإيمان؟ فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٢].

فإذا تبين ذلك فإن كل مصطلح عقدي أو كل نازلة عقدية خالفت تلك الأصول فإنها تخرج صاحبها من الدين ضربة لازب.

* * *

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية على نازلة الإلحاد المعاصر

- **المطلب الأول: فهم الإلحاد المعاصر وتصوره:**

مفهوم الإلحاد المعاصر لغة واصطلاحًا:

- **الإلحاد لغة:**

أصل الإلحاد في اللغة الميل عن الاستقامة، وسلوك طريق الاعوجاج، يقال: ألحد الرجل. إذ مال عن طريقة الحق والإيمان، وألْحَدَ في دين الله أي: حاد عنه وعَدَلَ[٣].

- **الإلحاد اصطلاحًا:**

المراد بالإلحاد الذي نحن بصدد دراسته: كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون -سبحانه وتعالى- عند من جاء من الفلاسفة أو غيرهم في العصر الحديث كالشيوعيين والماركسيين والوجوديين, بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كل مَنْ لم يؤمن بالله تعالى منهم, ويزعم أن الكون وُجِدَ بذاته في الأزل[٤].

---

(١) ينظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، (ص٣٩٢)، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي، تحقيق: حكة مصطفى، دار النشر المغربية، ١٩٨٣م، (ص٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، (١/ ٣٦)، رقم (٨).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٢/ ٤٣٥)، مقاييس اللغة، (٥/ ٢٣٦).

(٤) ينظر: جواب في الإيمان ونواقضه، عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار التدمرية، ط١، ١٤٧٣هـ/ ٢٠١٦هـ، (ص٢٢)، مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، درا بن خزيمة، ط١، (ص٧)، الموسوعة الميسرة

- **المعاصرة لغة:**

المعاصرة في اللغة مصدر على وزن مفاعلة من الفعل الرباعي المزيد بالألف عاصر على وزن (فَاعَلَ)، يقال: عاصره يعاصره معاصرة، إذا عاش معه في عصرٍ واحدٍ، والعصر هو الدهر أو الزمن، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾[1]، والجمع عصور[2].

- **المعاصرة اصطلاحًا:**

يقصد بـ(المعاصرة) الاعتماد على ما يقتضيه آخر ما وصلت إليه المعارف الإنسانية من الأساليب والوسائل العلمية في مناقشة القضايا في شتى المجالات، أو -بمعنى أدق- هي كون المرء واعيًا لآخر ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية من آراء وأفكار في القضايا المختلفة، مع معرفة الوسائل التي استخدمتها للوصول إليه، ومجموعة الخطوات التي اتبعتها للكشف عنها أو البرهنة على صحتها[3].

المطلب الثاني: تحرير نازلة الإلحاد المعاصر وتفكيكها:

مصطلح (الإلحاد المعاصر) هو مصطلح يعبر عن تيار فكري يستخدم الوسائل البحثية الحديثة، ومناهج البحث العلمي المعاصرة في الدعوة إلى فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق -سبحانه وتعالى- وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت، مع ادعاء أصحاب هذا التيار بتأييد الحقائق العلمية لأفكاره ومبادئه[4].

واستخدام هذه الوسائل -التي هي في ظاهرها وسائل علمية- قد أدت إلى أن أُطْلِقَ على هذا المذهب اسم (الإلحاد العلمي)[5]، كما أطلق دعاة هذا التيار على أفكارهم مصطلحات أخرى، مثل التقدمية والعصرية، وغير ذلك من هذه الأسماء الجوفاء، وهم يستخدمون هذه الأسماء

في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ، (٢/ ٨٠٣).

(١) سورة العصر، الآيتان: (١، ٢).

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٢/ ٧٤٨)، تاج العروس من جواهر القاموس، (١٣/ ٧٣).

(٣) ينظر: الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، محمد رأفت سعيد، دار المنهاج - القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، (ص٩)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٨م، (ص١٥٠).

(٤) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق - القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، (ص٦٠٥)، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن محمد حسن الأسمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث - جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، (٢/ ١٣١٣)، الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، دار الانتشار العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٧م، (ص١٧).

(٥) ينظر: الإلحاد (وسائله - خطره - سبل مواجهته)، صلاح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، دار اللؤلؤة - بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، (ص١٧)، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، محمد البهي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، (ص٢٦).

باستخدامات تناسب نظريتهم فهم يقولون: إن الإنسان التقدمي هو الإنسان المهذب في سلوكه والواقعي في حكمه والصادق في التعبير عنه، هذا التعريف لم يقف عند هذا المفهوم، بل أصبح يطلق في جانب العقائد على الإنسان الذي ينبذ التدين والتقاليد، وينفلت من كل ارتباط بالفضائل الدينية ويتخذ الإلحاد مذهبًا، مثل الأحزاب التي أطلقت على نفسها صفة التقدمية في البلاد العربية وفي غيرها[١].

هذا ويجب التنبيه هنا على الفارق بين مصطلح (الإلحاد المعاصر) ومصطلح (الإلحاد الجديد)؛ فإن الأول كان منبته -كما سوف يأتي- مع نهاية القرون الوسطى نتيجة الثورة العلمية المتنامية التي شهدتها أوربا؛ أما الثاني فإنه يشير إلى موْجة إلحادية متعاظمة في الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر؛ فقبلها كان الملحدون لا ينخرطون كثيرًا في الطعن على الأديان ولا الدعوة لاستئصالها، لكن بعد أحداث ١١ سبتمبر، والتي اتُّهم فيها الدين الإسلامي، ثم رد فعل الإدارة الأمريكية التي شنت حربين على كل من العراق وأفغانستان راح ضحيتهما الآلاف؛ بعد هذه الأحداث شعر الملحدون أن الأديان سوف تتسبب في حدوث حرب عالمية ثالثة تبيد الحضارة على كوكب الأرض وتقضي على الوجود البشري بأكمله، وأن الأديان بهذه الصورة -من وجهة نظرهم- صارت خطرًا على البشرية كلها؛ ومن ثم يجب التخلص منها، ومحوها من على سطح الأرض[٢].

وتاريخ الإلحاد في العصر الحديث مرتبط إلى حد بعيد بما يطلق عليه في تاريخ الثقافة الغربية (العصور الوسطى) أو (القرون الوسطى)، تلك الفترة التي كانت ما بين ٨٠٠م - ١٥٢١م، والتي كانت على أوربا ظلماً وظلاماً وضلالة؛ وكان السبب الرئيس في ذلك سيطرة الكنيسة ورجال الدين الكاثوليك في أوربا على الفلسفة الأوروبية، حيث سخَّرت العقل لإخراج تحريفها للوحي؛ لإلهي في فلسفة عقلية مسلَّمة لا يقبل مناقشتها، ومارست من أجل ذلك إرهابا فكريًّا انكمش على أثره نشاط العقل الأوروبي، وانحصر فيما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة[٣].

وفي ظل هذه الظروف الصعبة، والظلمات الحالكة في أوربا هب كثير من رجال الفكر والعلم الحديث ليبدؤوا ثورة على تلك الأوضاع، ويحاولوا إخراج أوربا مما هي فيه، وقد رأى هؤلاء المفكرون أن أول الطريق إلى الخروج من هذا النفق المظلم هو الخروج من سيطرة الكنيسة، أو -بمعنى أقرب- فصل الدين عن الدولة، والدعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين، تلك الدعوة التي عُرفت فيما بعد باسم

(١) ينظر: كواشف زيوف، (ص٥٠٧).

(٢) ينظر: الإلحاد للمبتدئين، هشام عزمي، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٥م، (ص٢٠).

(٣) ينظر: الإلحاد .. أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ١٤٠٤هـ، (ص٨).

العلمانية (Secularism)[١].

ومصطلح العلمانية هذا يعني في حقيقته اللادينية أو الدنيوية، وهي مفهوم يرى ضرورة أن تقوم الأخلاق والتعليم على أساس غير ديني، وهي فكرة تقوم في أساسها على ثلاثة أركان هي:

الركن الأول: قَصْر الاهتمام الإنساني على الدنيا فقط، وتأخير منزلة الدين في الحياة، ليكون من ممارسات الإنسان الشخصيَّة، فلا يتدخل في الحياة العامة.

الركن الثاني: فَصْل العلم والأخلاق والفكر والثقافة عن الالتزام بتعاليم الدين، أيِّ دين كان.

الركن الثالث: إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية على أساس غير ديني[٢].

وبعد النجاح الباهر للعلم والوسائل الحديثة في أوربا بعد القرون الوسطى، واستقلاله عن الفلسفة وعن الدين في إطار الحضارة الغربية، أصبح يمثل عند تيارات الفكر أيدلوجيا جديدة تنافس الفلسفة والدين في تلك الحضارة، وقد نشبت صراعات فكرية كبيرة بسبب ذلك[٣].

ومن ثم كانت العلمانية بهذا الوصف هي المبشر الأول والخطوة الأولى في سبيل الوصول إلى انتشار تيار الإلحاد المعاصر؛ ذلك لأن العلمانية -مع تظاهرها بالدعوة إلى الأخذ بالحقائق العلمية القائمة على العلوم الوضعية- تشجع المذاهب الفكرية القائمة على الإلحاد والكفر بكل الأديان وتتبناها؛ ولذلك كان قبول العلمانية في أي مجتمع معناه تبني الإلحاد والمروق من الأديان، وإنكار وجود إله خالق لهذا الكون[٤].

ثم تطور الفكر الإلحادي بعد ذلك وأخذ صورة النظرية العلمية على يد مجموعة من التيارات الفكرية والعلمية التي ظهرت في العصر الحديث.

- **المطلب الثالث: الاعتماد المنهج الأصولي مع الإلحاد المعاصر:**

ينبني منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الملحدين على ثلاثة أسس، وهي:

١. البراءة من عملهم وعدم موالاتهم:

الأصل في المسلم أنه يوالي أولياء الله تعالى ويعادي أعداءه، بمعنى أنه يحصر محبته على أولياء الله ويناصرهم، ويبغض كل عدو لله ولرسوله ﷺ والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالأدلة التي تأمر وتحض على البراءة منهم ومن عملهم. فأما القرآن الكريم فمنه قول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ

(١) ينظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ، (ص٣٣٩).

(٢) ينظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين - مصر، (ص١٢)، (د.ت).

(٣) ينظر: النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، (٢/ ١١٥١).

(٤) ينظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، (ص٤٠٦).

ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[٢]، أي: لا يوجد قوم يصدّقون الله، ويقرّون باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقَّهما وخالف أمر الله ونهيه[٣].

وأما من السنة فقول رسول الله ﷺ: «**أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ**»[٤].

٢. النصح لهم وبذل الجهد في إرشادهم: إن الواجب على المسلمين بذل الجهد في إرشاد الملحدين والنصح لهم، ومحاولة هدايتهم للطريق الأقوم؛ وذلك هو مناط خيرية الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٥]؛ فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط وجود خيرية الأمة الإسلامية[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا**»[٧].

٣. تحذير المسلمين من خطرهم: إن التحذير من التيارات الفكرية الضالة مهمة تجب على المجتمع المسلم؛ ومن أخطر هذه التيارات تيار الإلحاد؛ فقد نشأ في الأساس لإفساد الشعوب الإسلامية في عقائدها وأخلاقها وآدابها وسائر أنواع سلوكها في الحياة[٨]؛ من هنا فقد وجب على علماء الأمة الإسلامية ودعاتها أن يحذِّروا عوام المسلمين من خطورة هذا التيار، وأن ينهوهم عن قراءة كتب أهل الإلحاد والشرك، وكذا الإصغاء إلى كلامهم، لئلا يعلق بالذهن شيء من شبههم مما قد يسبب الميل إليهم.

* * *

(١) سورة آل عمران، من الآية: (٢٨).
(٢) سورة المجادلة، من الآية: (٢٢).
(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، (٢٣/ ٢٥٧).
(٤) أخرجه الإمام النسائي في سننه، (٧/ ١٤٨)، رقم (٤١٧٧).
(٥) سورة آل عمران، من الآية: (١١٠).
(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، (٤/ ١٧١).
(٧) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، (٤/ ١٢١)، رقم (٤٣٣٦).
(٨) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، دار القلم - دمشق، ط٨، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، (١/ ٤٢٩).

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث خرج الباحث ببعض النتائج التي يبرزها في النقاط الآتية:

أولا: إن علم العقيدة بمثابة علم الفقه في كونه استنباط أمور معقولة من نصوص محددة منقولة، ومن ثم يعرض فيه ما يعرض في علم الفقه من نوازل وأمور مستجدة نتيجة المناقشات العقلية التي تُعقد على هامش أبوابه.

ثانيا: إن استنباط المسائل العقدية من النصوص الشرعية يخضع لمنهج محدد ولقواعد صارمة تمثل أصولا للاستنباط، مثلما تمثل أصول الفقه أصولا وقواعد لاستنباط المسائل الفقهية من النصوص الشرعية.

ثالثا: إن هناك منهج محدد مبثوث في كتب التراث العقدية للتعامل مع ما يُستجد من نوازل عقدية، وهذا المنهج واضح الملامح من الوجهتين النظرية والتطبيقية، والباحث يوصي بضرورة تتبع هذا المنهج في كتبهم واستنباطه لما فيه من النفع العميم.

رابعاً: إن سبب ظهور ما يسمى بـ(النوازل العقدية) كان بسبب التوسع في الفتوحات الإسلامية ودخول أقوام للإسلام، وترجمة الكتب غير العربية وخصوصاً كتب الفلسفة، فاحتاج الناس الى إجابات لأسئلة ظهرت وشغلت بالهم، فتصدى لها العلماء المسلمون، وعالجوها.

قائمة المصادر والمراجع

١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، دار القلم - دمشق، ط٨، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

٣) الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين - مصر، (د.ت).

٤) الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، محمد البهي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط١، ١٤١هـ/ ١٩٨١م.

٥) الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، محمد رأفت سعيد، دار المنهاج - القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦) الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان - السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧) الإلحاد (وسائله - خطره - سبل مواجهته)، صلاح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، دار اللؤلؤة - بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٨) الإلحاد .. أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ١٤٠٤هـ.

٩) الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، دار

الانتشار العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
١٠) الإلحاد للمبتدئين، هشام عزمي، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٥م.
١١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
١٢) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي، عالم الكتب - القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م
١٦) جواب في الإيمان ونواقضه، عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار التدمرية، ط١، ١٤٧٣هـ/ ٢٠١٦هـ.
١٧) الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي - القاهرة، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
١٨) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٩) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي- القاهرة، د.ت.
٢٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٢) العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.
٢٣) العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال - مصر.
٢٤) الفروق للقرافي، عالم الكتب - بيروت.
٢٥) فقه النوازل، بكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٦) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي، تحقيق: حكة مصطفى، دار النشر المغربية، ١٩٨٣م.
٢٧) الكليات، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٨) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، مكتبة الرشد - الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٢٩) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق - القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٠) مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، درا بن خزيمة، ط١.

٣١) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٨م.

٣٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٤) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٣٦) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن محمد حسن الأسمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث - جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣٧) النوازل العقدية عند الشيخ ابن عثيمين (بحث محكم)، علي بن عمر بن محمد السحيباني، ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية - جامعة القصيم.